

رياضات الشعوب وحوار الثقافات



محاولة لتعديل الرؤية

الأستاذ الدكتور / أحمد عيساوي - الجزائري

قرية صغيرة - أصبح التبادل الثقافي والحضاري يتم بين مختلف سكان المعمورة بشكل سريع ومثير ومندهش، لم يسبق له مثيل في تاريخ الحضارة الإنسانية.

فكم هو عدد الداخلين في الإسلام من الأمم، ولا سيما الغربيين منهم؟

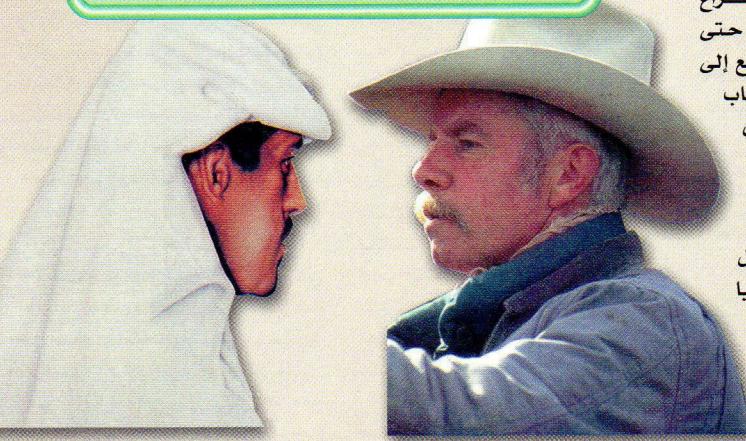
وكم من معتقد لغيره من الديانات الأخرى ولو على سبيل العبور باتجاهه؟

وكم هو عدد المتأثرين بعوالم الأفكار والمعارف الواردة من عند الآخرين؟

وكم هو عدد النشطاء بقضايا الإنسانية ومعضلاتها المستعصية اليوم؟

إن مسألة حوار الثقافات وصدام الحضارات والأديان مسألة عرفتها الحضارات الإنسانية منذ القدم، فهي مسألة قيمة متعددة، ولكن يجب التفريق هنا - منهاجاً وتصورياً - بين وجودها ووقوعها تلقائياً وطبعياً وتاريخياً بين مختلف الحضارات العالمية عبر مسيرتها التاريخية، وبين فهمها وتحليلها والتنظير لها، والبحث فيها، ودراستها عبر الملتقيات والندوات والمؤتمرات وسائل الإعلامية والعلمية والفكرية والثقافية.

إن دراستنا لها وفتحنا الملفات عنها لا يعني بالضرورة إغفال تارихيتها منهاجاً وتعريفها، وإنما أدار المفكر أو المثقف زاوية رؤيته - عن قصد أو غير قصد - عنها لوقع في إشكالات كثيرة ستسلمه - حتى إلى قراءات وتحليلات وفهمات خاطئة، وإلى نظرات غير صائبة، وستفضي به بعد نهاية الجهد العلمي المبذول إلى مأزق خطير، وستضعه في مسرب مظلم، لا



الثقافي بين العرب المسلمين أولاً، وبين سائر الأمم المفتوحة، التي سرعان مادخلت الإسلام، وأاحتله بمملتها وديانتها في ظل اعتراف الإسلام بالآخر المغاير، وكم تأثر العرب بالأمم المفتوحة في سائر شؤون حياتهم، والحرب الصليبية، بالرغم من مأساتها، مظاهر من مظاهر الحوار الثقافي الحاد والدامي، والحضارة العربية الإسلامية في الأندلس معبر من معابر الحوار الثقافي والفكري بين الغرب والشرق، وعيدي أفريقياً المرحلين إلى الأميركيتين، على قساوة وضعهم، مظهر من مظاهر الحوار بين الثقافات.. وفي الموجة الاستعمارية الحديثة مظهر من مظاهر التبادل الثقافي والحضاري القسري بين المستعمِر والمُستعمَر.. وفي حضارتنا الإعلامية والإلكترونية المعاصرة التي استحوذت بها الكورة الأرضية إلى غرفة واحدة بعد أن كانت في منتصف القرن - بواسطة سرعة وانتشار وسائل الإعلام والاتصال - وكانت ممثلة في (رغبة الأنظمة)، أو ثقافية كانت ممثلة في (اتجاه سرعان مدخلت الإسلام)، أو فكرية كانت ممثلة في (اتجاه فكري معين)، أو علمية كانت ممثلة في (اتجاه أكاديمي علمي معين).

والحقيقة أن قضية حوار الثقافات والحضارات والأمم مسألة واقعية موجودة وقائمة منذ تشكل الكيانات الحضارية والثقافية للأمم القديمة، وأن التبادل الثقافي قائم بين الأمم وحضاراتها المختلفة منذ القدم، وأن التأثير والتاثير الحضاري مرسم بين الشعوب والأمم، وذلك عبر الحروب، والمعاهدات، والسلم، والتجارة، والرحلات العالمية والسياسية والثقافية المختلفة، والتنقل، والترجمة، والنقل، والاقتباس، وفنون الهندسة والعمارة والخطيط، وفنون الصناعة، وفنون الزراعة وغيرها من عوامل التأثير والتاثير الثقافي. فطريق الحرير الشهير مظهر من مظاهر التبادل الثقافي والحضاري، والفتورات الإسلامية مظهر من مظاهر الحوار

طفت على الساحة الفكرية والثقافية والأدبية والإعلامية في العقد الماضي مسألة حوار الثقافات، أو حوار الحضارات، أو صراع الحضارات، أو تصادم الأديان، حتى غدت مادة ثرية وشهية يتطلع إلى تناولها ومعالجتها أغلب الكتاب والمفكرين والعلماء تامين والأكاديميين العالميين..

والحقيقة التي يجب أن تلتفت إليها بدقة، وتصوب أنظارنا بعمق إليها، هي حال التلاقي التقائي للقضايا والمسائل المطروحة في الغرب، ومحاولة تبنيها والدفاع عنها من قبل مثقفينا ومفكرينا، أو محاولة مقاومتها

ودحضها وكشف مافيها وتأثيراتها علينا من قبل فئات أخرى من مثقفينا ومفكرينا. وقد أثرت هذه التبعية المطلقة في خلق حال من اللاوعي لدى المفكر العربي، الذي ظل يلتقي ويطلق فقط، ثم يتبنى، ويتبنى فقط، وهكذا دخل في حال الغيبوبة لتلقي واستهلاك ماعند الآخر فقط. وقد أدت هذه الحال من الغيبوبة الفكرية إلى التلاقي التقائي لمسألة حوار الحضارات، أو صدام الأديان، تلقي سابقاتها، من قبل الكثير من مثقفينا ومفكرينا على أنها قضية جدية بالكتابية والمتابعة، وهي بالفعل مسألة مهمة وجديدة بالبحث والمتابعة، ولكنشرط توافق الشروط الموضوعية والعلمية الكاملة للمثقف والمفكر الباحث فيها، بحيث يتناول المسألة بمعزل عن كل التأثيرات والضغوطات، والاتجاهات الرسمية له، التي يراد لها اتخاذ الوجهة المعينة لوجهة الوصية سياسية

يستطيع الخروج منه، إلا بتصورات ورؤى مظلمة، لا تفيد الإنسانية في شيء، ولا تزيد من حجم معارفها حول هذه المسألة الاستراتيجية شيئاً.

• الرياضة وحوار الثقافات

تنبه دراسات وأبحاث وتجارب علماء النفس والاجتماع إلى أنه يمكننا دراسة نفسيات الشعوب من خلال نشاطاتها وقيمها وعاداتها وتقاليدتها وفنونها وأعرافها وتقاليعها وأزيائها. فمن خلال أهازيجها وأمثلتها الشعبية وأزيائها وأبياتها وصاناعتها وتغذيتها وأعيادها، وسائر مناسباتها واحتفالاتها ومراسيمها في الأفراح والاحزان .. يمكننا معرفتها حق المعرفة، فردياً وجماعياً واجتماعياً. كما أنه يمكننا من رياضاتها الشعبية والشهيرة والأكثر انتشاراً معرفة نفسياتها الفردية والجمالية وبواطنها ومشاعرها وأحساسها، ومن خلال معرفتنا لنفسياتها الفردية والجمالية يمكننا أن نعرف مدى قابليتها للحوار والتعارف والتداول مع الآخر المتمايز، كما أنه يمكننا معرفة مدى روح السلوكيات والقيم العدوانية والأنانية والفردية فيها، وإرادتها أو عدم إرادتها لتقاسم الكراهة بسلام مع الآخرين، ومعه ندرك - عميقاً - إمكاناتها النفسية والشعرية والواقعية الحقيقية في تقبل الآخر وهضمه والتعايش والتعاون معه، وعلى ضوء فهمنا ل النوعية هذه الرياضات الشعبية يمكننا أن نجسر معها مسالك الحوار أو تحذر منها بشتى طرق التعامل الحضاري.

• الرياضات اليونانية عبر لفهم الغرب

تعتبر الرياضات اليونانية القديمة هي أس الرياضات الغربية المعاصرة، فرياضات ألعاب القوى السبعة «العدو بتنوعه، الرمي بتنوعه، القفز بتنوعه»، ثم رياضة «مصارعة الأسود»، ثم رياضة «المصارعة الإغريقية»، هي الرياضات الشهيرة لشعوب مملكتي إسبطية وأثينا اليونانيتين، التي تسمى بالألعاب الأولمبية نسبة إلى الآلهة اليونانية الوثنية «أوليبوس». والمدقق فيها بعمق سيكتشف دونما عناء أنها رياضات عمادها الأساسي القوة والشدة والعزز، فالغلبة والفوز فيها يعتمد على المنافسة القوية والشديدة للوصول إلى النتيجة الأولى، وهي في عمومها رياضات إنسانية شريفة، وبجانب هذه الرياضات التنافسية القوية تجد رياضة (المصارعة الإغريقية) التي تعتمد على المصارعة والشدة، والتي تفتقر إلى حد كبير للجانب الإنساني، الذي يتتساب ومكانة الإنسان وكرامته التي كرمه الله بها، بحيث تكشف على نظرية الصراع والإفان للآخر المغاير، التي تقوم عليها الحضارات والمدنيات الوثنية والوضعية. وإذا أعددت هذه الرياضات فهي إنسانية - إلى حد كبير - في جانبها التكريمي للإنسان، فإن رياضة (مصارعة الأسود) تكشف بعمق حال التردد الأخلاقي والقيمي الذي كانت عليه الحضارة اليونانية والرومانية الوثنية في عهودها الذهبية بين القرنين (٤٥٠ ق.م .. إلى ٦٠ ق.م) . ومنها يمكننا فهم نفسية الأمة اليونانية والرومانية القائمة على العدوان والوحشية. ولما انبعثت المدينة الغربية في العصر الحديث قوية وفاعلة، نهضت مؤسسة على



بكثير من الألم والمرارة - مستوى الفرد الأميركي الأخلاقي والقيمي المنها.

فأي حوار هذا يمكننا إقامته مع هذا الفرد المتعطش للقتل وللدماء والصراع ؟ هذا الحوار الذي تبدو ملامحه واضحة ومنعكسة على سلوك وقيم وتصيرفات القيادة والسياسة الأميركيّة العالية.

إننا بحاجة ماسة إلى أن نصارح أنفسنا ولو مرة واحدة، وندرس الآخر دراسة حقيقة، وواقعية، كما هو - لا كما تبديه لنا أوهامنا وخياناتنا وتوهماتنا الخاطئة فيه - من حيث قيمه ومثله ومبادئه وواقعه، ثم نقرر بعده أي حوار يمكن أن نجريه مع هذا الآخر المتغطرس.

• الرياضات الأوروبية الشعبية عبر ثان لفهم الغرب

ثم إن إطلالة على الرياضات الشعبية السائدة في الغرب بعامة تكشف لنا بدقة نوعية هذا الآخر وحقيقة نوعيته في فهم الحياة وتصورها، ونوعيته في أسلوب التعايش مع الذات ومع الآخر، فإذاً بما والبرغاء انتشرت فيما رياضة (مصالحة الشiran) بأصنافها المختلفة، هذه الرياضة التي يجتمع فيها الجمهور متمنعاً بعملية احتضار وسوق ووط أحد

الفلسفة اليونانية القديمة، وأحياناً في مختلف مجالات الحياة ومنها الرياضة، التي بعثت ألعابها الأولمبية الأولى في العصر الحديث سنة ١٨٩٦، وأضاف لها مجموعة من الألعاب التنافسية القوية ككرة القدم وكرة اليد والسلة والماء، وكرة الركبي، والبيسبول العادي، والبيسبول على الجليد، ولعبة الهوكى. وابتكر بعدها العقل الغربي مجموعة من الألعاب الوحشية القاسية، التي تكشف عن نفسيته المحبة للعدوان، والمعطشة للقتولة، والشاملة بحب الطيش والصلف والغرور وتعذيب الآخر، فذاعت بتفوق وانتشرت مباريات الملائكة، التي تطورت - لاحقاً - فصارت بالأيدي والأرجل معاً وسميت بالملائكة التيلاندية، ثم تالت رياضة (المصارعة الحرة العالمية)، التي انتشرت وذاعت في الولايات المتحدة الأميركيّة، وصارت تكشف لنا بعمق نفسية وحقيقة بواطن الفرد الأميركي، المتعطش للقتل وللدماء وللتفتين بين المتصارعين، والإغراء ببعضهما ليفتكم أحدهما بالآخر .. هذا الفرد المادي الذي يدفع مبلغاً يترواح بين (مئة ومائتي دولار) مشاهدة مباراة قد لا تدوم بضع دقائق، حيث يدور في جولاتها الكثير من المرفوض والمستهجن إنسانياً، والمتبع والشاهد لها وهي تنقل عبر الفضائيات العالمية والعربية والإسلامية يكتشف -

عدوان الآخر. وهي رياضة دفاعية وليست هجومية، حتى إن من أخلاق ومبادئه متمرس فيها عدم استخدامها في الإيذاء والهجوم. ومن خلال رياضات الشعوب الآسيوية يمكننا معرفة حقيقة هذه الشعوب المتقبلة للأخر المايز، والمنفتحة على ثقافة الآخر المنوع. وهو ما أيدته حقائق التاريخ وتاريخ علاقات الشعوب الحافل.

● الرياضات العربية الإسلامية

عرف العرب في الجاهلية مجموعة من الرياضات، كان أشهرها رياضة السباحة والرماية، وركوب الخيل والمهاري، والسباق واللعب بهما، ولما جاء الإسلام وفتح المسلمون العالم القديم وجدوا لدى تلك الأمم رياضات متعددة كالشطرنج والتردشير والضامة وحبات الحصى، فاستوّبوا بها ونقلوها إلى بلادهم، ولم يضيقوا بها ذرعاً، بل جعلوها من رياضاتهم النبيلة، وصنعوا لها أخفّ الوسائل الفضية والذهبية والنحاسية، وخصصوا لها الأوقات، وحبسوا عليها نوعية المجالس والأشخاص .. وهي بحق تكشف عن نفسيتهم الطيبة الساذجة المصدقة لكتاب الآخر.

والخلاصة، فإن الرياضات تكشف لنا عن حقيقة الشعوب وتعطينا ضوءاً حقيقياً عن نفسية الآخر، ومدى صلاحية قابلياته نحو التجسير والتكمير مع الآخر. ولكن هل نعي هذا؟ أعتقد .. لا .. والألم كتبت هذه السطور، وعمر هذه الرياضات الآن أكثر من عشرين



نظريّة الصراع والتصادم الحضاري والديني والثقافي، الذي عبر عنه صراحة في كتابه كل من «صموئيل هنفتون» (في كتابه ضدám الحضارات) و«فرنسيس فوكوياما» - (في كتابه نهاية التاريخ). وكذلك الأمر بالنسبة لرياضة كرة - تنس - الطاولة) الدائمة الصيّت في مختلف دول شرق آسيا، والتي تكشف عن روح راقية وجذابة وخفيفة ومتطلعة. وتبقى الإشارة إلى رياضة (الجيدو) و(الكرياتيه) و(الكونغ فو)، وهي رياضات قتالية دفاعية، تعتمد على حماية ممارسها من

ورياضات الشعوب الآسيوية فإننا نجد فيها أنواعاً إنسانية كثيرة، وأخرى تنضح بالشدة والقسوة، فرياضة السومو الشهيرة في شرق آسيا حيث يتدافع بطانٍ كأنهما جبلان من الشحم واللحم، لا تعتمد على إيماء الخصم، بمقدار ما تعتمد على الدفع الخفيف، والدفع فقط من دون الحقن الأذى بالخصم، ومن دفع خصمـه وأخرجـه من الحلبة فـذلك هو الفائز.

رياضة تكشف لنا بـحـق نـفسـيـةـ الشـعـوبـ الـآـسـيـوـيـةـ،ـ الـتـيـ تـقـبـلـ العـيـشـ وـالـتـبـادـلـ مـعـ الـآـخـرـ،ـ وـتـعـتـمـدـ عـلـىـ نـظـرـيـةـ التـدـافـعـ الـحـضـارـيـ،ـ عـلـىـ العـكـسـ مـنـ الغـرـبـ الـقـائـمـ عـلـىـ

عملـاـ إنـقـادـيـاـ شـجـاعـاـ،ـ يـقـومـ بـهـ بـعـضـهـمـ مـنـ أـجـلـ إنـقـادـ مـفـقـودـينـ،ـ سـقـطـواـ أوـ مـاتـواـ تـحـتـ تـأـثـيرـ العـوـاصـفـ الـثـلـجـيـةـ الـقـاسـيـةـ .ـ وـكـذـلـكـ الـحـالـ بـالـنـسـبـةـ لـلـعـبـةـ (ـالـأـوـرـاقـ)،ـ الـتـيـ كـانـتـ لـلـتـسـلـيـةـ وـالـمـزـاحـ وـقـضـاءـ أـوـقـاتـ الـفـرـاغـ،ـ لـتـصـبـحـ بـفـعـلـ الـجـسـعـ الـذـيـ آلـ إـلـيـهـ أمرـ الـفـردـ الـفـرـغـيـ -ـ رـياـضـةـ لـلـقـمـارـ وـإـفـرـاغـ مـاـ فـيـ جـيـوبـ الـعـابـيـنـ الـمـوهـومـيـنـ بـخـرـاقـةـ الـرـيحـ السـرـيعـ فـيـ مـقـامـ (ـلـاسـ فـيـغـاسـ)ـ وـبـارـيسـ وـغـيـرـهـاـ.ـ مـنـ عـوـاصـمـ الـقـمـارـ الـعـالـيـةـ،ـ وـكـذـلـكـ آلـ أمرـ رـياـضـةـ (ـسـيـاقـ الـخـيـولـ)ـ لـيـصـبـحـ الـعـوـيـوـيـةـ فـيـ أـيـدـيـ الـمـرـابـيـنـ وـالـمـزـايـدـيـنـ فـيـ مـيـادـيـنـ سـبـاقـ

المـتـصـارـعـيـنـ،ـ الـثـورـ أوـ الـإـنـسـانـ (ـالـمـيـتـيـادـورـ)،ـ كـمـ يـتـمـتـعـ بـأـيـضاـ فـيـ مـوـسـمـ اـطـلاقـ سـراحـ الـثـيـرانـ لـتـسـخـيـنـهـاـ قـبـلـ اـنـطـلـاقـ مـوـسـمـ رـياـضـةـ مـصـارـعـةـ الـثـيـرانـ،ـ لـتـبـتـ رـياـضـةـ مـصـارـعـةـ الـثـيـرانـ،ـ وـيـعـبـثـ بـهـاـ فـيـ أـرـقـةـ وـشـوـارـ الـمـدـنـ الـبـرـتـغـالـيـةـ وـالـإـسـبـانـيـةـ.ـ إـنـ هـذـهـ الـرـياـضـةـ كـفـيـلـةـ بـكـشـفـ نـفـسـيـةـ الـفـرـدـ وـالـمـجـمـعـ الـإـسـلـامـيـ وـالـقـتـلـ وـالـدـمـ وـالـثـأـرـ،ـ الـذـيـ لـمـ يـجـازـ الـوـجـودـ الـعـرـبـيـ وـالـإـسـلـامـيـ الـحـضـارـيـ عـنـهـ بـعـدـ سـقـوطـ غـرـنـاطـةـ سـنـةـ 1492ـ هـ 897ـ مـ إـلـاـ بـمـحاـكـمـ الـتـفـتـيـشـ وـالـقـمعـ وـالـمـلاـحـقـةـ..ـ وـشـبـيـهـ هـذـهـ الـرـياـضـةـ كـانـ

مـنـتـشـرـاـ فـيـ الـغـربـ بـعـامـةـ،ـ كـصـرـاعـ فـحـولـ الشـيـاهـ وـفـحـولـ الـمـاعـزـ وـالـأـيـلـ وـالـكـلـابـ وـالـقـطـطـ،ـ وـصـرـاعـ فـحـولـ الـدـيـكـ الـقـوـيـ بـالـأـخـرـ،ـ الـضـعـيفـ شـرـفـتـكـةـ،ـ تـحـتـ صـرـاخـ وـصـيـاحـ الـعـامـةـ الـمـثـولـيـنـ بـالـخـمـرـ وـبـيـشـوـةـ الـقـامـرـةـ وـالـأـنـتـصـارـ،ـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـرـياـضـاتـ الـتـيـ نـهـيـتـ عـنـهـ الـإـسـلـامـ صـرـاحـةـ

وـبـالـنـصـ،ـ وـالـتـيـ لـمـ يـكـنـ بـعـضـهـاـ مـعـرـوفـاـ لـدـىـ مـشـرـكيـ الـعـربـ،ـ فـلـمـ يـؤـثـرـ عـنـهـمـ مـثـلـ هـذـهـ الـرـياـضـاتـ الـشـعـبـيـةـ،ـ مـعـبرـ لـفـهـمـ الـغـربـ فـهـمـاـ حـقـيقـيـاـ،ـ حـيـثـ تـجـلتـ عـدـوـانـيـتـهـ مـعـ أـوـلـ بـوـادـرـ الـضـعـفـ الـعـرـبـيـ وـالـإـسـلـامـيـ فـيـ الـقـرـونـ الـمـهـجرـيـةـ الـمـتـاـخـرـةـ،ـ فـرـاحـ يـعـيـثـ فـيـ بـلـادـ الـعـربـ وـالـمـسـلـمـيـنـ وـفـيـ الـعـالـمـ فـسـادـاـ وـتـدـمـيـرـاـ..ـ حـتـىـ وـرـثـتـ الـأـرـضـ وـالـبـشـرـيـةـ مـعـضـلـاتـ تـنـوـعـ بـحـملـهـاـ الـأـجـيـالـ الـأـحـقـةـ.

● الرياضات الآسيوية عبر لفهم الآسيوي
وبال مقابل إذا نظرنا إلى ألعاب